

حروب القيم بين الإعلام الغربي والإسلامي



الهيثم زعفان

كاتب وباحث اجتماعي - ماجستير في التخطيط الاجتماعي - جامعة الأزهر

ملخص الدراسة

تعد أزمة تفسخ القيم لدى قطاع عريض من أبناء الأمة الإسلامية من أكثر الأزمات التي توترق علماء الأمة وحاملي همّها، ويلعب الإعلام الغربي والمتغرب دوراً رئيساً في تعظيم هذه الأزمة، وقد حاول الإعلام الإسلامي بحضوره اللافت أن يعظّم سُنّة المدافعة قبالة هذا السيل الانحلالي الذي يستهدف الإعلام الغربي والمتغرب من خلاله قيم الأمة وثوابتها، من هنا جاءت هذه الدراسة التي حاولت تلمّس معالم معركة القيم التي يحركها الإعلام الهابط في صفوف المسلمين، فبينت الدراسة أن الغرب يحاول عولمة نمودجه التحريري دونما التفات لخصوصيات الأمم في بنائها القيمي ومرجعيتها الشرعية الضابطة لهذا البناء. وقد ساعد على ذلك وجود كوادر بشرية من أوساط المسلمين، تسير على درب الغرب في توجيهها لوسائل الإعلام الخاضعة لإشرافها.

وأوضحت الدراسة الراهنة أن توظيف الغرب لوسائل الإعلام بما يهدم المنظومة القيمية يسير على ثلاثة مسارات: حيث يعبّر المسار الأول عن الواقع الفعلي للمجتمعات الغربية، بما فيها من تفسخ وانحلال، بينما يعبّر المسار الثاني عن الطمع المالي لصنّاع الإعلام، أما المسار الثالث فيعبّر عن الصراع بين الغرب والإسلام، واحتلال الغرب لديار الإسلام وانعكاسات ذلك على القطاع الإعلامي. وقد قدمت الدراسة في ضوء ذلك العديد من الشواهد الإحصائية التي تبين مدى خطورة التأثير الإعلامي الموجّه على وعي الشعوب وقيمهم.

كما تناولت الدراسة أثر الإعلام الغربي والمتغرب على منظومة القيم في المجتمعات الإسلامية، وذلك من خلال جملة من الدراسات الأكاديمية الموثقة، والتي تطلق صرخات نذير إحصائية حول مسئولية الإعلام الهابط في خلخلة منظومة القيم، وتناولت الدراسة في ضوء ذلك انعكاسات الإعلام الغربي والمتغرب على أطفال الأمة، وخاصة على شبابها ونسائها، وبينت الدراسة واقع الإعلام الإسلامي من الاستهداف الغربي لقيم الأمة وثوابتها؛ حيث وضعت الدراسة يدها على نقاط القوة والضعف في مدافعة الإعلام الإسلامي للإعلام الغربي والتغريبي؛ وذلك على مستوى الأطفال والشباب والمرأة المسلمة.

وقد انتهت الدراسة بجملة من التوصيات والمقترحات بلغت عشرين توصية ومقترحاً يمكن في ضوئها -بإذن الله تعالى- الحفاظ على هوية الأمة الإسلامية إزاء سيل السماوات المفتوحة وعصر المعلومات، وإحداث نوع من التوازن، وكسب الجولات في معركة القيم بين الإعلام الغربي والمتغرب من ناحية والإعلام الإسلامي من ناحية أخرى.

حروب القيم بين الإعلام الغربي والإسلامي



الهيثم زعفان

كاتب وباحث اجتماعي - ماجستير في التخطيط الاجتماعي - جامعة الأزهر

مقدمة:

لا ينكر أحد الآن الدور التآثيري الممتد لوسائل الإعلام في تشكيل وعي الشعوب، ومن ثم توجيه تلك الشعوب صوب قيم بعينها، سواء كانت سلبية أو إيجابية. والغرب بتركيبته المعقدة، وتشكيلاته العقدية المتعددة، وكذلك ليبراليته المتحررة من الضوابط العقدية والشرعية، يقدم منظومة قيمية تميل إلى الأهواء وإشباع الرغبات، ويراهما هو مناسبة لواقعه المجتمعي، لكنه نظراً لاعتبارات عديدة، منها: ما هو مرتبط بقضايا الصراع العقدي بين الغرب والإسلام، ومنها ما هو مرتبط بمحاولات بسط النفوذ الغربي على وجه البسيطة، يحاول الغرب عولمة نمودجه التحريري هذا دونما التفات لخصوصيات الأمم في بنائها القيمي، ومرجعيتها الشرعية الضابطة لهذا البناء.

وفي ضوء ذلك كانت وسائل الإعلام ميداناً خصباً للترويج لمنظومة القيم الغربية التحررية داخل المجتمعات الإسلامية، وقد ساعد على هذا الترويج وجود كوادر بشرية من أوساط المسلمين تأثرت بالغرب وانبهرت به، ورأت في نقل كل ما ينضح به الغرب هو من باب «المدنية الحديثة»، فصبغوا ووجهوا الوسائل الإعلامية التي يملكونها أو يديرونها أو يعملون في قطاعاتها المتعددة وفق ما يطرحه الغرب من قيم تحررية، فكانوا بذلك أحد أدوات الصراع القيمي في المنطقة الإسلامية بما يخدم الأهداف الغربية في إبعاد المسلمين عن قيمهم الإسلامية الراسخة.

تلك القيم الإسلامية التي حملت وسائل الإعلام الإسلامية على عاتقها مسئولية ترسيخها في المجتمعات الإسلامية، وفي ذات الوقت محاولة إحداث عملية التوازن قبالة الهجمة التغريبية في وسائل الإعلام المروجة للقيم الغربية في المجتمعات الإسلامية.

من هذا المنطلق سعت هذه الدراسة لإلقاء الضوء على حروب القيم بين الإعلام الغربي، وكذلك الإعلام العربي المتغرب من ناحية، والإعلام الإسلامي من ناحية أخرى.

ولمعالجة هذه القضية سيتم استخدام المنهج التحليلي، والذي في ضوئه سيتم تفكيك وتحليل آليات ومحتويات معركة الغرب والمتغربين القيمي في الميدان الإعلامي، وطبيعة مدافعة وسائل الإعلام الإسلامية لتلك المعركة التغريبية، وذلك بهدف الخروج بمؤشرات توجيهية تقيّم المكاسب والخسائر في تلك المعركة الساخنة والمعقدة، وتقدم جملة من النصائح البحثية والتوصيات العملية بما يخدم عملية التوازن ومدافعة ما يضرّ بالأمة الإسلامية في هذا الميدان.

١- أهمية وسائل الإعلام في تشكيل بنية القيم والمعتقدات في المجتمعات الحديثة، وأثرها في تكوين الرأي العام والعقل الجمعي للأمم والشعوب:

لكل مجتمع معتقده وثقافته، ومن ثم منظومته القيمية المنبثقة من هذا المعتقد وتلك الثقافة، وعلى ذلك فإن هناك خصوصيات تميّز كل مجتمع عن الآخر على وجه الأرض. وفي ضوء ذلك تسعى المجتمعات بكافة أطيافها إلى استثمار وسائل الإعلام المتاحة لديها من أجل تكريس وتثبيت معتقداتها وثقافتها وقيمها في أوساط شعوبها.

وعند الحديث عن القيم بين الإسلام والغرب ينبغي التأكيد على أننا نتحدث عن حق وباطل، عن أوامر إلهية وضوابط شرعية تضبط سياق القيم في المجتمع الإسلامي، وعلى النقيض في الغرب؛ فإن هناك أدياناً محرّفة، وأهواءً تحريرية تحررت من أية ضوابط عقدية تضبط سياق المجتمع، ومن ثمّ قيمه السائدة فيه. فالقيم الإسلامية إذن وكما ذهب علماء الإسلام تضم شمول الدين الإسلامي بأوامره ونواهيه، والتي تربط بين دنيا المسلم وآخرته، وتحقق لديه معنى العبودية لله في كافة تحركاته وسكناته؛ وفقاً لمراد الله سبحانه وتعالى الذي يقول في كتابه العزيز: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلرَّبِّ الْعَلِيِّنَ ﴿١٣٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وحيث إن القيم في الغرب -كما يوضح علماء الغرب أنفسهم- هوائية؛ فإنها تضم الحق والباطل، الإيجابي والسلبي، الشهوات والشبهات، وهي تتصف بالنسبية؛ حيث تمتد وتنكمش بحسب مصالح الشعوب وأهوائها وشهواتها، فكل ما تصطلح الثقافة في الغرب على أنه خير يخضع دائماً في اختياره إلى مبلغ فائدته الاجتماعية لهذه الثقافة بالذات؛ فالقيم تكون صالحة أو فاسدة تبعاً لدرجة قدرتها، أو عدم قدرتها، على إشباع الحاجات الأساسية، البيولوجية والاجتماعية

للناس في الثقافة المعينة.^(١)

إذن فإن إشباع الاحتياجات وتحقيق الغايات، وفق الأهواء، هو المعيار الأساس في تشكيل المنظومة القيمية الغربية، فمعنى المفردة القيمية في الغرب إذن ليس حميداً كما هو في ديار الإسلام، بل هو يضم الخبيث والحسن، والمحزن أن الخبيث يغلب هناك على الحسن؛ بشهادة علماءهم هم، وهذا الخبث ينعكس على كافة القطاعات الغربية، وعلى رأسها الإعلام.

وبنظرنا؛ فإن توظيف الغرب لوسائل الإعلام بما يهدم المنظومة القيمية؛ يسير على ثلاثة مسارات: حيث يعبر المسار الأول عن الواقع الفعلي للمجتمعات الغربية، بما فيها من تفسخ وانحلال، وبالتالي ينعكس هذا الواقع على الإعلام وصناعاته، ومن ثم تخرج المواد الإعلامية لتكون بمثابة مرآة لتفاعلات الحياة الغربية اليومية.

بينما يعبر المسار الثاني عن الطمع المالي لصنّاع الإعلام، فيصنعون مواد إعلامية انحلالية، تحقق لهم الأرباح الخيالية، غير مَعْنِيّين في ذلك بانهيار المجتمعات ومنظومتها القيمية بناءً على هذه التجارة الخبيثة.

أما المسار الثالث، والذي يمكننا تسكيته في زاوية الصراع بين الغرب والإسلام، واحتلال الغرب لديار الإسلام؛ حيث يضع قادة الصراع في الغرب هدفاً أساسياً نُصِبَ أعينهم يتمثل في محاولة خلخلة المنظومة القيمية الإسلامية، ومزاحمتها بقيم هوائية تفسد على المسلمين تقربهم إلى الله بمنظومتهم القيمية المنضبطة بالضوابط الشرعية.

وحالة الحرب القيمية السائدة الآن على مستوى الميدان الإعلامي تسير في مسارين: الأول على مستوى الشبهات، والدفع بما يشكك العوام في منظومتهم الإسلامية الراسخة، بينما يأتي المسار

(١) فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٦٨.

ومن وراء كل ذلك قادة صراع يستثمرون هذا المناخ الفاسد لخلخلة المنظومة القيمية في العالم الإسلامي.

وحتى نستبين حجم تأثير الوسائل الإعلامية على مسار المنظومة القيمية في المجتمع، سنحاول تقديم بعض الصور الإحصائية في المجال الإعلامي، تكشف بجلاء خطورة التأثير الإعلامي الموجه على وعي الشعوب وقيمهم.

المواقع الإباحية على الإنترنت:

يبلغ عدد المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت حوالي ٤,٢ مليون موقع، بينما يبلغ إجمالي عدد الصفحات الإباحية على الإنترنت حوالي ٤٢٠ مليون صفحة؛ حيث تأتي الولايات المتحدة في مقدمة قائمة أكثر البلدان امتلاكاً لصفحات جنسية بنصيب يتعدى ٢٤٤,٥ مليون صفحة، تليها ألمانيا بنصيب يبلغ أكثر من ١٠ ملايين صفحة، ثم بريطانيا بنصيب ٨,٥ مليون صفحة ثم أستراليا، اليابان، هولندا، روسيا، بولندا وإسبانيا.

مستخدمو شبكة الإنترنت عبر العالم^(*)

المنطقة	عدد السكان ٢٠١٠م	مستخدمو الإنترنت ديسمبر ٢٠٠٠م	مستخدمو الإنترنت يوليو ٢٠١٠م	النسبة
إفريقيا	١.٠١٢.٧٧٩.٠٥٠	٤.٥١٤.٤٠٠	١١٠.٩٣١.٧٠٠	١٠.٩
آسيا	٣.٨٣٤.٧٩٢.٨٥٢	١١٤.٣٠٤.٠٠٠	٨٣٥.٠٩٤.٣٩٦	٢١.٥
أوروبا	٨١٣.٣١٩.٥١١	١٠٥.٠٩٦.٠٩٣	٤٧٥.٠٦٩.٤٤٨	٥٨.٤
الشرق الأوسط	٢١٢.٣٣٦.٩٢٤	٣.٢٨٤.٨٠٠	٦٣.٢٤٠.٩٤٦	٢٩.٨
أمريكا الشمالية	٣٤٤.١٢٤.٤٥٠	١٠٨.٠٩٦.٨٠٠	٣٦٦.٢٣٤.٥٠٠	٧٧.٤
أمريكا اللاتينية- الكاريبي	٥٩٢.٥٥٦.٩٧٢	١٨.٠٦٨.٩١٩	٢٠٤.٦٨٩.٨٣٦	٣٤.٥
أستراليا	٢٤.٧٠٠.٢٠١	٧.٦٣٠.٤٨٠	٢١.٣٦٣.٩٩٠	٦١.٣
المجموع	٦.٨٤٥.٦٠٩.٩٦٠	٣٦٠.٩٨٥.٤٩٢	١.٩٦٦.٥١٤.٨١٦	

(*) Internet World Stats: Internet Usage Statistics, The Internet Big Picture, World Internet Users and Population

Stats. <http://www.internetworldstats.com/stats.htm>

الثاني على مستوى الشهوات، وبما يغرق الأمة في المذلات، ويصرفها عن تحقيق مراد الله في الأرض.

والإعلام بكافة وسائله وتقنياته يُعد ميداناً خصباً لإدارة هذه الحرب القيمية، وقد زادت أهمية وتأثير وسائل الإعلام بعد ثورات التقنيات والأقمار الصناعية والإنترنت، ونجاح الوسيلة الإعلامية في كسر كافة الحواجز، وبالتالي يزداد تأثير الوسيلة الإعلامية في تشكيل وعي الشعوب وتوجيهها صوب قيم بعينها.

ويكفي للتدليل على جدية هذه الحرب من قبل الغرب ما كشفت عنه مؤسسة راند القريبة من دائرة صنع القرار الأمريكي من أن الميزانية السنوية التي ترصدها الولايات المتحدة الأمريكية لقناة الحرة الأمريكية والناطقة باللغة العربية هي ٦٧١,٩ مليون دولار إضافة إلى ٥٠ مليون دولار أخرى كاحتياطي للأزمات^(١). وعلى ذات الدرب يأتي الدعم المالي والمعنوي للإعلام التغريبي في العالم العربي.

وعلى ذلك؛ فإننا أمام إشكالات عدة تواجهها الأمة الإسلامية ومنظومة القيم الإسلامية فيها على مستوى الميدان الإعلامي؛ حيث المادة الإعلامية المتغربة متفسخة، والمستثمر الإعلامي الغربي هدفه ربحي؛ حيث يدفع كل يوم بعشرات المنتجات الإعلامية الانحلالية، ومتغربون عندنا يسيرون على درب الغرب في الاتجاهين سواء بالتقليد الانحلالي أو الاستثمار الإعلامي الخبيث.

(١) د. باسم خفاجي: استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام، قراءة في تقرير راند ٢٠٠٧م، سلسلة رؤى معاصرة، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، السنة الأولى، العدد رقم ٤، مايو ٢٠٠٧م، ص ٢٦.

صناعة السينما الأمريكية:

يوضح تقرير لوزارة الخارجية الأمريكية عن صناعة السينما في أمريكا أن أكثر من ٥٠٪ من إيرادات هوليوود على شبك التذاكر تأتي عادة من مبيعات التذاكر خارج الولايات المتحدة. وكثيراً ما تكون الإيرادات الإجمالية الأجنبية أكثر من ٧٠٪ في حالة الأفلام الضخمة.

كما كشف التقرير عن أن الإيرادات الإجمالية لشباك تذاكر بلغت ١٦,٩٦ مليار دولار في عام ٢٠٠١م جاء نصفها تقريباً، أي ٨,٤١ مليار دولار من دور السينما داخل الولايات المتحدة، والباقي من دور السينما الأجنبية. بينما بلغت في عام ٢٠٠٦م حوالي ٢٥,٨٢ مليار دولار ثلثها تقريباً من داخل الولايات المتحدة والباقي من الخارج. وتعقيباً على هذه الأرقام يقول تقرير الخارجية الأمريكية:

«وهذا يعني أن الحركات المضحكة للأشخاص المغفلين، وحبكات القصص الغبية، والتفجيرات الضخمة، التي تشكل في أعين المنتقدين الأجانب أسوأ الصادرات من الأفلام الأمريكية، تنجم عن استجابة هوليوود لجمهور عالمي وليس لجمهور محلي»^(٢).

٢- أثر الإعلام الغربي والمتغرب على منظومة القيم في المجتمعات الإسلامية في إطار حروب الثقافات والهويات وصراع الحضارات:

يلمس كل حلیم حجم المآسي التي يتسبب فيها الإعلام الغربي والإعلام المتغرب في العالم الإسلامي، جراء المسلسلات والأفلام الساقطة، والبرامج الشبابية

(٢) توماس دوهرتي: ما الذي يجعل الأفلام الأمريكية أمريكية؟، تقرير صناعة السينما في الولايات المتحدة الأمريكية، مكتب الإعلام الخارجي، وزارة الخارجية الأمريكية، ٢٠٠٧م.
الموقع الإلكتروني للمكتب: <http://www.america.gov/ar/>

وتبلغ نسبة زوار المواقع الإباحية من مستخدمي الإنترنت ٤٢,٧٪ من إجمالي زوار الشبكة. بينما تبلغ نسبة تحميل المواد الإباحية عبر الإنترنت ٢٥٪ من إجمالي المواد المحملة، أما عدد المواقع الإباحية التي تحتوي على مواد إباحية لأطفال فتبلغ أكثر من ١٠٠,٠٠٠ موقع.

كما يبلغ عدد مرات البحث عن المواقع الإباحية بمحركات البحث ٦٨ مليون طلب يومياً؛ وعدد الرسائل الإلكترونية الإباحية ٢,٥ مليار رسالة يومياً.

يوضح تقرير لوزارة الخارجية الأمريكية عن صناعة السينما في أمريكا أن أكثر من ٥٠٪ من إيرادات هوليوود على شبك التذاكر تأتي عادة من مبيعات التذاكر خارج الولايات المتحدة. وكثيراً ما تكون الإيرادات الإجمالية الأجنبية أكثر من ٧٠٪ في حالة الأفلام الضخمة.

كما توضح الإحصائيات أن ٨٩٪ من زوار غرف الدردشة يخوضون في موضوعات جنسية. وأن ٢٠٪ من زوار الإنترنت اعترفوا بدخولهم إلى المواقع الإباحية أثناء وقت العمل.

وعلى ذلك يفوق الدخل السنوي لصناعة الإباحية عبر الإنترنت ١٢ مليار دولار أمريكي.

وعلى مستوى الأطفال والإنترنت الانحلالي؛ توضح الإحصائيات أن متوسط عمر الأطفال الذين يتعرضون للمواد الإباحية لأول مرة على الإنترنت يبلغ ١١ عاماً.

ومتوسط عمر الأطفال الأكثر اعتياداً على الدخول إلى تلك المواقع الانحلالية من سن ١٥ إلى سن ١٧. وأن ما يقرب من ٢٦ شخصية كارتونية محبة إلى الأطفال تُستغل لاصطيادهم إلى المواقع الجنسية.

وعلى ذلك يبلغ الريح السنوي التقديري لاستغلال الأطفال جنسياً عبر الإنترنت ٣ مليارات دولار أمريكي^(١).

(١) تقرير نشرته جريدة القبس الكويتية عن المواقع الإباحية على الإنترنت: <http://www.alqabas.com.kw/Article.aspx?id=339286>

خفية عن أسرهم^(٢).

في الوقت نفسه أظهر بحث بعنوان «الهوية العربية كما تعكسها أغاني الفيديو كليب وانعكاساتها على قيم الشباب»، أنه بتحليل ٣٦٤ أغنية بثتها بعض القنوات العربية والرسمية بلغت نسبة اللقطات المثيرة ٧٧٪، وأشارت الدراسة أيضاً إلى أن عينة الأغاني تعكس البيئة الغربية بنسبة ٧٠٪، والبيئة العربية بنسبة ٣٠٪. وبلغت نسبة الرسائل بين الجنسين على قناة روتانا ٧٦٪، وغلبت القيم السلبية على القيم الواردة في الأغاني بنسبة ٨٥٪، منها نسبة ٣٣٪ لقيم الخيانة، و٢٥٪ للغدر، و٢٢٪ للتجاهل وعدم التقدير، و٥٪ للكراهية^(٣).

وكشف الدكتور محمد مراد عبد الله مدير مركز دعم اتخاذ القرار في شرطة دبي، عن وجود أكثر من ٣٠ محطة فضائية غنائية تبث ما يقارب ١٥ مليون رسالة يومياً، وأن متوسط عدد المكالمات والرسائل النصية لقصيرة «إس إم إس» التي تتلقاها المحطة الواحدة يبلغ ٣٣ ألف مكالمات ورسالة في الساعة الواحدة، وإن المحطة تحقق دخلاً يزيد عن ٢٠ مليون درهم شهرياً^(٤).

انعكاسات الإعلام الغربي والمتغرب على أطفال الأمة:

يعد تشكيل وعي أطفال المسلمين وفق قيم تغريبية معينة هدفاً مباشراً لوسائل الإعلام الغربية والتغريبية،

(٢) الدكتور حسن علي، استخدامات الشباب الجامعي للقنوات الفضائية، أبحاث مؤتمر الإعلام المعاصر والهوية الوطنية، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٣) الدكتور أشرف جلال، الهوية العربية كما تعكسها أغاني الفيديو كليب، وانعكاساتها على قيم الشباب، أبحاث مؤتمر الإعلام المعاصر والهوية الوطنية، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٤) الدكتور محمد مراد عبد الله مدير مركز دعم اتخاذ القرار في شرطة دبي: على هامش الحملة الرابعة لجمعية توعية ورعاية الأحداث في دولة الإمارات للتصدي للقنوات الفضائية الهابطة، الموقع الإلكتروني لجمعية توعية ورعاية الأحداث في دولة الإمارات:

<http://www.jewa.org.ae/>

المختلطة والفارغة، والأغاني والكليبات المقززة، والمقالات والحوارات والصور بالصحف والمجلات الفارغة والفاضحة، والمواقع الإلكترونية الانحلالية، والبرامج والإذاعات الشبابية المغربية، فكل حليم وكل متمسك بالقيم الإسلامية يحمل الإعلام المنفلت مسؤولية تفشي العديد من الأمراض المجتمعية من قبيل الدياثة، العري، الزنا، الشذوذ، الاغتصاب، الخيانة، الإدمان، الكذب، السرقة، السخرية من الغير، عدم توقير الكبار، التمرد على الوالدين، التمرد على الأرزاق، ثم التمرد على كافة الأحكام الشرعية، وغير ذلك من الأمراض الاجتماعية المهلكة التي تستوجب غضب الله سبحانه وتعالى.

وهناك عدة مؤشرات من خلالها يمكن معرفة حجم هذا الزخم الإعلامي المنفلت، فعلى سبيل المثال بتحليلنا لمحتوى قنوات القمر الصناعي النابلسات تبين وجود ٨٨ قناة للأغاني، و٦٠ قناة للأفلام والمسلسلات، فضلاً عن ٥٠ قناة رياضية، والأعداد تزداد يوماً بعد يوم، وهذه القنوات وخاصة قنوات الأغاني والأفلام تجذب قطاعاً عريضاً من المشاهدين العرب، وتتنافس فيما بينها على تقديم أحدث ما يتم إنتاجه من أفلام وكليبات، وتحرص على ترويج هذه المنتجات بمساحات ممتدة من المقطعات الانحلالية.

كما كشف مؤتمر عقده كلية الإعلام جامعة القاهرة^(١) عن وجود علاقة كبيرة بين أغاني الفيديو كليب ومحاولات العولمة التي تروج لنمط الحياة الغربية بشكل متعمد، وأظهر المؤتمر ارتفاع معدلات مشاهدة الشباب لأغاني الفيديو كليب؛ حيث كشفت إحدى الدراسات المقدمة للمؤتمر أن ١٠٠٪ من الشباب الذين شملتهم عينة الدراسة يشاهدون مطربات مشهورات بالتعري، في الوقت الذي كشفت فيه الدراسة عن أن ٤٠٪ ممن شملتهم العينة يتابعون أغاني الفيديو كليب

(١) مؤتمر «الإعلام المعاصر والهوية الوطنية»: مؤتمر نظّمته كلية الإعلام جامعة القاهرة في الفترة من ٤-٦ مايو ٢٠٠٤م.

وذلك بتكثيف مشاهد الإعجاب بين الفتى والفتاة، وضرورة أن يكون للبننت صديق تحبه ويحبها، وجميعها علاقات تعرضها القناة في أحيان كثيرة مصحوبة بقبلات وأحضان وتجريد من معظم الملابس- إحاطة الطفل بمناخ انحلالي مثل الرقص الخليع، القبلات، شرب الخمر، لعب القمار، الكذب، القتل، السرقة، واحتراف المكائد، وكلها أخلاقيات فاسدة يخشى من ورائها فساد أخلاق الطفل المتلقي لتلك المحتويات- ترسيخ الكذب، التزييف، الغدر، الخيانة، الانتقام، السخرية من الآخرين، وغير ذلك من الصفات غير الشرعية وذلك وفقاً لما تقدمه سيناريوهات مواد الأطفال الإعلامية من محتويات تعزز تلك الصفات، وأبرز مثال على ذلك كرتون « توم وجيري » القائم في مجمله على السخرية والانتقام والكيده للآخرين.

انعكاسات الإعلام الغربي والمتغرب على شباب الأمة:

وسائل الإعلام ساهمت مساهمة فعالة في إثارة غرائز الشباب عن طريق المواقع الإلكترونية الانحلالية، الأفلام، المسلسلات، الأغاني المصورة، الصور الخليعة والمأجنة، وعن طريق القصص الغرامية، وهي أمور تدفع أحياناً بعض الشباب للبحث عن منافذ، وجميعها منافذ تصبّ في دوائر محرمة تغيب معها كافة الاعتبارات القيمة في المجتمع الإسلامي. ولعل الخطورة ندركها من إحدى الدراسات المقدمة لكلية الملك فهد الأمنية؛ حيث كشفت الدراسة التي حللت محتوى الهواتف المحمولة التي ضبطتها هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنه من بين ١٤٧٠ ملفاً بذاكرة الهواتف المحمولة كان هناك ٧٠٪ منها عبارة عن ملفات إباحية، كما كشفت الدراسة عن أن ٨٨٪ من البنات في عينة الدراسة يقلن: «إنهن ضحية للتحرش باستخدام البلوتوث»^(٢).

(٢) الدكتور عبد الله بن محمد الرشيد: الاحتساب على جرائم تقنية البلوتوث، ندوة المجتمع والأمن الجرائم الإلكترونية: الملامح والأبعاد، كلية الملك فهد الأمنية، الدورة الخامسة، الرياض، ١٤٢٧هـ.

ويُعد ذلك استثماراً لجلوس الطفل فترة طويلة أمام الوسيلة الإعلامية، سواء كانت تلفزيوناً أو إنترنت^(١) لمشاهدة قنوات ومواقع الأطفال الإلكترونية بما تحويه من مواد إعلامية مسلية للطفل.

والخطورة تكمن في أن معظم قنوات الأطفال العربية تعيد عرض منتجات الأطفال الإعلامية الغربية من كارتون، مسلسلات، أغان، مسابقات، ألعاب سحرية، وبرامج أطفال إرشادية، سواء كانت علمية أو تربوية غربية، بدون التحفظ على ما بها من تجاوزات أخلاقية وعقدية، وهذه القنوات تقوم بعملية الدبلجة إلى العربية، وفي أحيان كثيرة يتم عرض المنتج الإعلامي كما هو وبلغته الأصلية.

كما أن هناك قنوات أطفال عربية أخرى تحاول تقديم مواد إعلامية من إنتاجها، لكن إشكالياتها تكمن في أن العقول الصائغة لهذه المواد والمشرقة على عملية إعدادها؛ إما أنها غربية تمت الاستعانة بها كخبرة غربية جاهزة، وبالتالي تخرج المواد الإعلامية بصياغة وروح غربية، أو عقول شرقية، ولكنها تتحرك بمنطلقات علمانية متغربة فتجرد المنتج الإعلامي من أية هوية إسلامية.

والخطورة في ذلك -فضلاً عن المخاطر العقدية- أن هذه المواد الإعلامية الغربية والمتغربة تقوم بنقل الثقافة الغربية بكل ما تحويه من انحلال وفساد عقدي، بصورة تليفزيونية تبهر الطفل المتلقي، وهذه أمور من شأنها تكريس ثقافة الاختلاط بين الفتى والفتاة في وجدان الطفل- نشر ثقافة العري بين الأطفال، خاصة وأن هناك كمية كبيرة من مشاهد الأفلام الكارتونية في قنوات الأطفال تكون البطلات فيها شبه عاريات- إشاعة الفاحشة بين الأطفال،

(١) إذا كان متوسط قضاء الطفل أمام التلفزيون والإنترنت يومياً أربع ساعات، فإن عدد الساعات في الشهر سيكون ١٢٠ ساعة، وفي السنة ١٤٤٠ ساعة، أي شهرين في العام بالتمام والكمال يتلقى الطفل فيهما جملة من الموجهات التربوية المباشرة عبر التليفزيون والإنترنت، بمعنى أنه بعد مرور عشر سنوات من عمر الطفل سيكون قد قضى ما متوسطه عشرون شهراً أمام محتويات قنوات الأطفال، أي ما يقارب العامين.

كما ساهمت أفلام العصابات والإجرام في أكثر من ٧٠ مليون اتصال.^(١)

انحراف الكثير من المراهقين، وتدريبهم على اقتراف الجريمة، وكل ذلك يعمل على خلخلة المنظومة القيمية لشباب الأمة، ومن ثم انسلاخهم عن الضوابط والأحكام الشرعية الضابطة لحركاتهم وسكناتهم في المجتمع الإسلامي؛ الأمر الذي يفقد المجتمع اتزانه.

انعكاسات الإعلام الغربي والمتغرب على المرأة والأسرة المسلمة:

وسائل الإعلام الغربية والمتغربة، بما تعرضه من أنماط حياة شاذة عن المجتمعات الإسلامية، تُعد من أكثر الوسائل المفسدة لحياة المرأة المسلمة المستترة في المنزل، فهي تحيط المرأة المسلمة بصورة ذهنية عن ملبس المرأة، وآليات تفاعلها مع كافة المحيطين بها، وجميعها آليات مستمدة من نظرة المرأة الغربية للحرية

كما نلاحظ أن هناك تأثيراً فعالاً لما يُعرف بـ«تلفزيون الواقع» Real TV، والتي تزعم أنها تعتمد على الواقعية في التصوير وتسلسل الأحداث، وهي برامج غربية في الأساس، تم تقليدها في منطقتنا العربية مثل برنامج «ستار أكاديمي»، وهو برنامج ترفيهي مهمم باستقطاب روافد شابة جديدة للقطاع الفني؛ حيث يتم اختيار مجموعة من الفتيات والفتيان ويعيشون معاً في مكان واحد، ويراقب الجمهور عبر التلفاز كل حركاتهم وتفاعلاتهم التي تتم في مناخ اختلاطي خالٍ من أية ضوابط عقدية، ويميل بالكلية إلى تقليد الغرب في عمليات التفاعل بين الشباب.

فعلى سبيل المثال يوجد بمكان التعايش حمام السباحة، مزود بأربع كاميرات تعمل تحت الماء وذلك لمراقبة تحركات الشباب والفتيات داخل الحمام؛ حيث تشترط إدارة البرنامج شرطاً يطلب من الفتيات المتقدّمات للاختبار عدم الاعتراض على ارتداء المايوه أثناء عرض البرنامج على الهواء، ويعتبر المراقبون أن هذه الفقرة تهدف إلى زيادة نسبة مشاهدة البرنامج، ومن ثم زيادة حصيلته عبر الاتصالات التلفزيونية، حتى يصل لأكبر شريحة ممكنة من الشباب العربي، الذي يصوّت على اختيار نجمه المفضل.

وهذه النوعية من البرامج تجتذب قطاعاً عريضاً من شباب الأمة؛ حيث تشير التقارير إلى أن برنامج ستار أكاديمي تلقى في موسم واحد

(١) الموقع الإلكتروني لبرنامج ستار أكاديمي

<http://www.staracademy-lbc.net/vb>

(٢) تجدر الإشارة في هذا السياق إلى ظاهرة استثمار التقنية الحديثة في نشر الفضيحة الواقعية حيث يقوم ضعاف النفوس والسذج بنشر الفضيحة الحية الواقعية؛ والهاتكة لستر الأعراض في مختلف المجالات، وخصوصاً للنساء المسلمات، وكثيراً ما تصيب الفضيحة نساءً تواجدن في الفنادق والأعراس أو الحمامات العامة أو غرف تبديل الملابس بالتاجر أو ما شابه، وأحياناً في الطرقات؛ ليصورن خلصة وتكون الفضيحة.

وبعد أن كان البحث الانحلالي بين المراهقين منصّباً على الأفلام والصور الانحلالية، ويتم التعامل مع المشكلة باعتبار أن الإشكالية تكمن في محاربة «التلقي»، وأن هذه المواد مصدرية إلينا كعالم إسلامي ضمن روافد الانحلال الغربي؛ فإذا حاولنا منع «التلقي» نجحنا ولو جزئياً في تضييق الخناق على الأبناء، ليتجاوزوا تلك المرحلة الحرجة بسلاّم، ويدخلوا مرحلة جديدة مصحوبة بالزواج، لكن الأمر الآن مختلف، فقد صار بنو جلدتنا وأبناء جبرتنا وفي أحيان فلدات أكبادنا هم المصدرون، ويصدرون سلعة واقعية نادرة تنافس التمثيل والفيديو كليب، وهذه الظاهرة تأخذ صوراً وأشكالاً عديدة، وهي كما تطلعننا صفحات المشكلات الاجتماعية والحوادث بالصحف والمواقع الإلكترونية تدور جميعها حول نشر صورة واقعية أو مقطعاً مرئياً لامرأة أو فتاة مسلمة، عفيفة أو فاسقة، صُورت عورتها برغبتها أو خلصة منها في مكان ما. لذا فمحاربة «التلقي» ينبغي أن يكون مصاحباً له محاربة «التصدير»؛ وذلك حتى يتم تحجيم تلك الظاهرة والسيطرة عليها.

وتحرض عليها، وتشوّه صورتها.

والإعلام الإسلامي، سواء كان صحفًا ومجلات أو مواقع إلكترونية، أو قنوات فضائية، وباختلاف مشاربه وتوجهاته الفكرية؛ نجده قد يختلف في عمليات البناء وتشكيل وعي الأمة، إلا أن الغالب على الإعلام الإسلامي هو اتفاهه في عملية المدافعة، ومن ثم رفضه للقيم الغربية الانحلالية، ومحاولة كشف سلبيات الإعلام الغربي والمتغرب، وأثره على بنيان الأمة ومنظومتها القيمية.

لكن التساؤلات المعقدة التي تفرض نفسها الآن هي: هل تعاطي الإعلام الإسلامي مع الاستهداف الغربي والتغريبي لثوابت الأمة وقيمها يعادل، على الأقل على المستوى الكمي، حجم المكاسب التي يحققها الإعلام الغربي والمتغرب؟

لقد رأينا تفاعلات الأطفال والشباب المسلم مع البرامج التغريبية، والأغاني والأفلام الانحلالية، فهل المقبلون من الأطفال والشباب والنساء على الإعلام الإسلامي يعادل كميًا المقبلين من الطرف الآخر؟

وهل تحذير الإعلام الإسلامي من عواقب التفاعل مع تلك المواد الغربية والتغريبية كافٍ لمدافعة الاستهداف الغربي والمتغرب؟

إن الواقع الإحصائي ابتداءً يحتاج إلى دراسات إحصائية موسعة تعتمد على نسب المشاهدات والتفاعلات، وهذه الدراسات يمكن لمراكز استطلاعات الرأي أن تقوم بها، لكن المؤشرات الملموسة تشير إلى أن حجم التغريب في صفوف الأمة جراء الإعلام الغربي والمتغرب كثيف، وله عوامل كثيرة تدعمه لا يحظى بها الإعلام الإسلامي. والمبشّر في الأمر أنه بنظرة تحليلية سريعة على الإعلام الإسلامي في ذات الميادين التي يكتفّ فيها الإعلام الغربي والمتغرب حضوره نجد أن هناك نسبية في المدافعة والتعاطي، وسنحاول استكشاف تلك النسبية، وذلك عبر الصورة التالية:

المنفلة، وأن المرأة رئيسة نفسها في كافة تحركاتها وسكناتها، وليس لأحد سلطان عليها حتى ولو كان الدين، كما أن وسائل الإعلام بهذه الصورة تعد من أكثر الوسائل المخيبة للزوجة على زوجها وأسرتها، وتجعلها، بما تبثه من أنماط وسلوكيات حياة كاذبة، تتمرّد على معيشتها مع زوجها ووالديها، ويؤدي ذلك في النهاية لانتشار عقوق الوالدين والانفصال بين الزوجين.

٢- واقع الإعلام الإسلامي من الاستهداف الغربي لقيم الأمة وثوابتها، وكيف تعاطى الإعلام الإسلامي مع ذلك الاستهداف؟

على الرغم من هذا الزخم الإعلامي الغربي والمتغرب بإمكانياته الضخمة وداعميه المؤثرين، مقارنة بإمكانيات الإعلام الإسلامي المتواضعة والصعوبات التي يواجهها، إلا أن الإعلام الإسلامي نجح نسبيًا في وضع سنّة المدافعة على طاولة المنازلة، ومن ثم محاولة إحداث نوع من التوازن الإعلامي قبالة هذا السيل الانحلالي المستهدف لقيم الأمة وثوابتها.

ويغض النظر عن الدراسات الناقدة للإعلام الإسلامي، وتركيزها على ضعف الخبرات الإعلامية وحاجته إلى مزيد من الاحتراف والتخصّصية والتمكّن؛ فإن صدى الإعلام الإسلامي، سواء كان مقروءًا أو مسموعًا أو مرئيًا، ملموسٌ في صفوف المسلمين، وذلك بعودة مظاهر عديدة للتدين كانت قليلة نسبيًا في العقود المنصرمة على مستوى العامة، فالمساجد صارت أكثر امتلاءً، والنساء صرن أكثر احتشامًا والتزامًا بالزي الشرعي، وتفاعلات الجمهور مع الإعلام الإسلامي بالاتصالات والتساؤلات واستطلاعات الرأي تعبّر عن إقبال فئات مغيّبة من المجتمع على الدين الإسلامي وعلماء الإسلام.

وأحسب أن هذه الأمور قد أزعجت التيارات العلمانية في المجتمعات الإسلامية كثيرًا، فصارت تمارس ضغوطها كي تغلق المنابر الإعلامية الإسلامية،

أولاً.. على مستوى الأطفال:

غنائية، قد يكون بها نوع من المكونات التربوية المناهضة للمكونات التربوية الهادمة الموجودة في الطرف الغربي والتغريبي الآخر، لكنها تركز معظم الوقت الإعلامي لثقافة الغناء والمرح، وهذا لا ينشئ جيلاً متزناً يحمل همّ الأمة الإسلامية، خاصة وأن هناك قطاعاً عريضاً من الأطفال منجذب إلى هذا النوع من الإعلام المحافظ، ويحفظ أغانيه عن ظهر قلب، وأحسب أن هذه المنابر الإعلامية لو تعاقدت مع مجموعة من العلماء والمستشارين التربويين ذوي الانطلاقات العقديّة المنضبطة، لخرجت ببرامج ومواد إعلامية للأطفال ستثري كثيراً وتؤثر في التشكيل الصحيح لوعي أطفال الأمة الإسلامية.

٢- منابر إعلامية للأطفال ذات توجهات إسلامية سُنّية، لها أهداف تربوية ملموسة للمتابع، وإن كان ينقصها التنوع والحكمة الإعلامية والتربوية في إنتاج مواد الأطفال، ويأخذ عليها البعض أن القطاع التلفزيوني منها مشفّر، ويحتاج إلى اشتراكات مالية شهرية في وقت تبث فيه باقي قنوات الأطفال مجاناً.

يُعد ميدان الأطفال من أكثر الميادين التي يشكّل الإعلام الإسلامي فيها حضوراً متميزاً، ربما لأن توفير البديل الشرعي من كارتون وبرامج أطفال لا يحتاج إلى إمكانيات ضخمة، أو مصحوب بمحاذير شرعية، مثل الدراما وبرامج الشباب التفاعلية، علاوة على تشجيع الأسر لانتقاء مواد إعلامية هادفة لأبنائهم الخاضعين للرقابة النسبية، بخلاف المراهقين والشباب، وبالعموم فإن هناك قائمة طويلة من شركات إنتاج المواد الإعلامية للأطفال وقنوات الأطفال، ومجلات وقصص الأطفال، والتي تتحرك جميعها بالصبغة الإسلامية، ولكن هذا القطاع يُلاحظ عليه ملاحظتان جوهريتان، وهما:

١- هناك منابر إعلامية للأطفال ذات منطلقات يمكن أن يطلق عليها محافظة، ويمكن أيضاً وصف أصحابها بأنهم من ذوي النوايا الطيبة نحسبهم كذلك، لكن الإشكالية تكمن في أن غالب ما يقومون بعرضه عبارة عن أغانٍ إيقاعية وأناشيد وحفلات

تكريس ثقافة الاختلاط بين الفتى والفتاة

نشر ثقافة العري

إشاعة الفاحشة بين الأطفال

إحاطة الطفل بمناخ انحلاطي: رقص خليع، قيلات، شرب الخمر، لعب القمار، الكذب، القتل، السرقة، احتراف المكائد

ترسيخ الكذب، التزييف، الغدر، الخيانة، الانتقام، السخرية من الآخرين

بعض مظاهر الانحلال والفساد العقدي التي تقدمها المواد الإعلامية الغربية والمتغربة للأطفال:



التغريبي والعكس، وليس أيضاً بذات الدرجة المؤثرة الملموسة في ميدان الأطفال.

ثالثاً .. على مستوى المرأة المسلمة:

أكثر ما يجذب المرأة في الإعلام الغربي والمتغرب هو الدراما، سواء مسلسلات أو أفلام، والإعلام الإسلامي في غالبه له موقف شرعي حازم في قضايا التمثيل، ومن ثم فإن مدافعة الإعلام الإسلامي في هذا الميدان مقتصرة على التحذير من المخالفات الشرعية، مع محاولة جذب أكبر قدر ممكن من النساء إلى نور التدين والالتزام الشرعي.

فميزان الجماهيرية هنا يميل أكثر لصالح الإعلام الغربي والمتغرب بسبب الدراما المتمثلة في المسلسلات والأفلام، وهنا تفرض إشكالية الدراما

بين الإعلام الغربي والإعلام الإسلامي نفسها على طاولة البحث الشرعي والضبط الفقهي للمسألة الدرامية، ومدى القبول الشرعي، والحدود والسقف الشرعي لتلوج الإعلام الإسلامي في الدراما.

التوصيات والمقترحات

٤- كيف يمكن للأمة الإسلامية الحفاظ على هويتها إزاء سيل السماوات المفتوحة وعصر المعلومات؟

١- ينبغي أولاً الوقوف على حجم الأزمة الإعلامية الانحلالية، وذلك بمحاولة إجراء دراسة إحصائية موسعة، ترسم من خلالها خريطة ممتدة للإعلام الانحلالي المؤثر في صفوف الأمة الإسلامية، ومن خلال هذه الخريطة يمكن تحديد نقاط القوة والضعف في هذا الإعلام، ومن ثم تحديد أنسب الآليات التي بها يتم تحجيم نفوذ هذا الإعلام.

٢- دعم المؤسسات التقنية الرسمية الساعية

لكن بالعموم فإن حضور الإعلام الإسلامي في ميدان الأطفال ممتد ومؤثر، ويعد مدافعاً قوياً لما يقدمه الإعلام المنفلت، وهذه نقطة قوة لدى الإعلام الإسلامي ينبغي رعايتها والاهتمام بها؛ فيميل الميزان فيها لصالح الإعلام الإسلامي بصورة متقدمة.

ثانياً.. على مستوى الشباب:

هناك إشكالية مهمة في موضوع الشباب، وهي خطورة المرحلة العمرية التي يمرون بها، وتحررهم النسبي من الرقابة الأسرية، ودندنة الإعلام الانحلالي بكتافة على الوتر الجسدي الذي يورق هذه المرحلة العمرية، مع سهولة وصول الشاب لغايته، سواء من خلال الإنترنت أو الفضائيات، وهنا الإعلام الإسلامي يحاول التواجد على عدة أصعدة منها:

١- تحذير الشباب من مخاطر التعاطي مع الإعلام الانحلالي، لكن الإشكالية تكمن في كيفية وصول هذا الخطاب الإعلامي للشباب المنجرف نحو الإعلام الآخر، ولا يكاد يشاهد أو يتابع الإعلام الإسلامي.

٢- تحذير أولياء الأمور من مغبّة، ومخاطر الإعلام الانحلالي على الأبناء، ودفعهم لتفعيل الرقابة عليهم من أجل تعسير سبل الوصول إلى مصادر الإعلام الانحلالي، أو المشاركة في فعالياته، مع مطالبتهم بتيسير سبل الزواج للأبناء.

٣- محاولة تقديم بعض المواد الإعلامية التي تجتذب الشباب، ويتفاعلون معها التفاعل الإيجابي، مثل برامج ضع بصمتك أو الطريق إلى مكة، أو فعاليات مهرجانات الصيف، وهكذا.

لكن الملموس أن درجة تعاطي الإعلام الإسلامي مع ميدان الشباب ليس بذات الدرجة الكمية المكثفة التي نلاحظها في عمليات التفاعل بين الشباب والإعلام

صدى كبير على الساحة الإعلامية.

٨- هناك دعاة وفقهم الله إلى دعوة بعض أهل الفن ونجوم الإعلام التغريبي، ومنهم من تاب وترك هذه المهنة بالكلية، وأحسب أن تكثيف الدعوة في هذا القطاع وبصفة خاصة مع من يتمتع بجاهه وبرهنة شبابية عالية قد يحدث بإذن الله تحولاً في مسار كثير من الشباب، فضلاً عن توقف رافد من روافد التغريب في هذا القطاع.

٩- يُقترح إنشاء منظمة غير حكومية يكون هدفها مدافعة الإعلام الهابط والهادم لقيم الأمة، وهذه المنظمة يمكنها تحقيق كثير من المقترحات السابقة، سواء بكشف حجم المعركة، أو مناصحة أولي الأمر والمسؤولين، أو برفع قضايا في حالات محددة، وعلى كل؛ فإن وجود هذه المنظمة على الساحة الإسلامية، من شأنه جعل القضية حية على الساحة الإسلامية، ومن ثم يتحقق العديد من المكاسب بإذن الله.

١٠- ينبغي الوضع في الحسبان أن هناك شقاً كبيراً من معركة القيم عبر الإعلام، له أهداف تجارية تسعى إلى امتصاص أموال المسلمين من خلال التفاعل مع مواد إعلامية تعتمد على الإثارة والعري، وأغلب هذا التفاعل الربحي يأتي من خلال الاتصالات والرسائل النصية بالقياس بالقياسات، لذلك فإن التركيز على تحجيم تلك الاتصالات من شأنه إحداث ارتباك في أوراق الإعلام المتغرب، فعلى سبيل المثال برامج تليفزيون الواقع، والتي وصل حجم الاتصال بها لأكثر من ٧٠ مليون اتصال في موسم واحد كما بينا من قبل، لو تم إقناع وزارات الاتصالات بإلزام شركات الاتصالات بقطع الاتصالات عن هذه البرامج، ولو في دولة عربية واحدة، لعدلت القنوات من سياستها في مثل هذه البرامج.

وبالعموم فإنني أوصي في هذا الشأن بعقد ورشة عمل تضم خبراء اقتصاد متدينين لتحديد أنسب الآليات لمواجهة هذه الإشكالية.

لحجب المنابر الإعلامية الانحلالية، وتبسيط الضوء إعلامياً على مجهوداتها داخل المجتمعات المطبقة لهذه النظم، مع الترغيب في تعميمها في كافة الدول العربية والإسلامية.

٢- فتح قنوات اتصال مباشرة مع المسؤولين عن الأقمار الصناعية والاتصالات الإلكترونية داخل الدول الإسلامية، وإطلاعهم مباشرة على الحجم الكلي للمفاسد في الوسائل الإعلامية، ودفعهم بالمبررات المنطقية، والشواهد والإحصاءات الموثقة إلى اتخاذ موقف رسمي حازم من هذه الوسائل التغريبية.

٤- تكثيف مخاطبة أولي الأمر من قبل العلماء الثقات بمخاطر ومفاسد الإعلام الغربي والتغريبي على الأمة وقيمها وثوابتها، ومحاولة ترغيبهم في اتخاذ قرارات صارمة حيال هذا الإعلام.

٥- هناك أحكام قضائية صدرت ضد وزارات الاتصالات في بعض البلدان العربية تلزمها بحجب المواقع الإلكترونية الانحلالية، فيمكن تفعيل هذه الأحكام، ووضعها على طاولة التداول الإعلامي، كما يمكن رفع قضايا مماثلة، على القنوات الفضائية التي تعرض برامج ومواد إعلامية فيها خطورة على القيم الإسلامية.

٦- عمل أرشفة لكل منبر إعلامي يقدم مواد إعلامية تؤثر على قيم الأمة وثوابتها، بحيث تكون بمثابة قاعدة معلوماتية للعلماء، والقانونيين الساعين لغلغ هذه المنابر، سواء بمناصحة المسؤولين، أو برفع قضايا على الجهات الحاضنة لهذه المنابر الإعلامية.

٧- محاولة فتح قنوات اتصال مع أصحاب القنوات الفضائية والمنابر الإعلامية الهادمة، وذلك بدعوتهم بالحسن لتعديل مسار منابرهم الإعلامية، فتغيير المنكر من جهة المصدر أخف وطأة، وأكثر تركيزاً من تغييره من ناحية المستقبل، وهناك تجارب مع قنوات فضائية كانت في بدايتها غنائية وهزلية، ثم تحولت إلى إسلامية، ولها الآن

المواد على كافة المنابر الإعلامية الإسلامية بتكلفة أقل من إنتاج المنبر الإعلامي للمواد الإعلامية.

١٥- الإعلام الإسلامي وفي ظل التنافس والتدافع الإعلامي قبالة الإعلام المتغرب بحاجة إلى تسويق جيد، خاصة في مجال الفضائيات الإسلامية، وذلك من أجل تحقيق أعلى نسبة مشاهدة، ويمكن أن تتم العملية التسويقية هذه من خلال إنشاء شركات إسلامية للتسويق الإعلامي، أو التعاقد مع القائم منها- الدعاية المكثفة من خلال المواقع الإلكترونية للقنوات - البث المباشر للقنوات على الإنترنت- الترويج للفضائيات ومحتوياتها في المواقع الإلكترونية

الكبرى- الإعلانات في الصحف والمجلات.

١٦- تواجه الإعلام الإسلامي إشكالية الجماهيرية والحضور الميداني، والذي يتميز في الإعلام المتغرب بصورة لافتة، فنجد مثلاً برنامجاً اجتماعياً في إحدى القنوات التلفزيونية

يحقق جماهيرية عالية بتواجده في أوساط الجماهير، وحمله لهمومهم، والسعي لحل مشكلاتهم، وفي ذات الحلقة يستضيف مقدم البرنامج أحد نجوم الفن ويتعرض لسيرته الشخصية كفخر وقدوة للجماهير ينبغي الاقتداء بها، وهي شخصية تمتلئ الشاشة بمشاهد البذاءة له.

وفي هذا الصدد يجد الإعلام الإسلامي نفسه مطالباً بالإجابة عن تساؤلات من قبيل أين يقع الجمهور من الفضائيات الإسلامية؟ وما هي ردود أفعاله عليها وملاحظاته وطموحاته منها؟ وهل هناك آلية فنية في مدينة الإنتاج تسمح بقياس أعداد المترددين على البرامج المتنوعة؟ وإن كان فما هي الخريطة الإحصائية لاستجابات الجماهير؟

والهدف من كل ذلك هو تفعيل البرامج الجماهيرية

١١- بالنسبة لبرامج تليفزيون الواقع التلفزيونية، والتي تجتذب قطاعاً عريضاً من شباب المسلمين، فإن لها سقطات مدوية في الآونة الأخيرة تمثلت في الكشف عن وجود كاميرات سرية تراقب الفتيات المشاركات في هذه البرامج، وهن يغيّرن ملابسهن، وكذلك وهن في دورات المياه، وأحسب أن تعظيم هذه السقطات وتبني الإعلام الإسلامي لإطلاق صيحات نذير لنساء المسلمين على دربها، أمرٌ من شأنه أن يخلخل أداء هذه البرامج ويفقدها شعبيتها.

١٢- في الاتحاد قوة، ولو أن هناك عشرة منابر إعلامية إسلامية خصصت

أسبوعاً مشتركاً لمداخلة العربي والبداءة في الإعلام المتغرب، من الممكن أن يكون في مثل هذه الحملة كثير من النتائج الإيجابية، وفي هذا الصدد أيضاً يُقترح إنشاء اتحاد للقنوات الإسلامية، ووضع إطار تسيقي تكاملي يمنع تكرار المواد الإعلامية، مع وضع

خريطة هيكلية إعلامية تضع في حساباتها مداخلة الإعلام المستهدف لقيم الأمة، وذلك بصورة تحقق الفاعلية والتركيز في المواجهة والمداخلة.

١٣- الإعلام الغربي والتغربي يهتم كثيراً بإعداد كوادره، وهذه جزئية ضعيفة نسبياً في الإعلام الإسلامي، لذا فإنه يُقترح استحداث معهد تدريبي لإعداد وتدريب الكوادر الإعلامية العاملة في ميدان الإعلام الإسلامي، ويمكن الاستعانة بالخبراء والعلماء لوضع أدبيات الدورات التدريبية التي من شأنها دعم عملية مداخلة الإعلام الإسلامي للإعلام التغربي على مستوى القيم.

١٤- يُقترح إنشاء شركات مستقلة لإنتاج المواد الإعلامية الإسلامية، بحيث تكون مركزة على عملية مداخلة الإعلام الغربي والمتغرب، وتقديم البدائل برؤية خبراء متخصصين في هذا الشأن، ويتم تسويق هذه

الله بتحسين أطفال اليوم شباب الغد ضد أية مواد إعلامية تغريبية.

١٩- على الآباء دور عظيم في مدافعة الإعلام الغربي والمنع، فوجود أجهزة الاستقبال في بيوتهم، سواء كان تليفزيوناً أو كمبيوتر ينبغي أن يكون تحت إشرافهم المباشر، فالغواهم للقنوات وحجبهم للمواقع الإلكترونية باستخدام البرامج الخاصة بالحجب، مع وضع الأجهزة في أماكن مكشوفة داخل المنزل سيخفف كثيراً من وطأة تواجد الإعلام البذيء في المنزل، لكن سياسة المنع هذه ينبغي أن تسير بالتوازي مع التحصين التربوي للأبناء ضد الإعلام الغربي والمنع، والتحصين الجسدي للأبناء، بتيسير الزواج، وتنفيذ الزواج المبكر والوعد به في صفوف الأبناء.

٢٠- هناك ظاهرة مهمة تم المرور عليها سريعاً أثناء الدراسة، وهي متعلقة «بتصدير» شباب الأمة لمواد إعلامية تعتمد على الفضيحة، ووضعها على المواقع الإلكترونية، ليستثمرها الخبثاء شر استخدام، وهذه الظاهرة ينبغي أن تحظى إعلامياً من قبل الإعلام الإسلامي بمزيد من الاهتمام؛ لأن مدافعة «تصدير الانحلال» وترويجه من قبل أبناء الأمة لا يقل أهمية عن مدافعة «تصدير الانحلال» من قبل أعداء الأمة.

وتحسين مسار المرفوض جماهيرياً، مع وضع آليات للتعرف على آراء الجماهير في القنوات، ومن ثم الاقتراب أكثر من الجمهور الذي يفتسه الإعلام الغربي والمنع قيمياً بصورة موحشة.

١٧- على مستوى معركة القيم بين الإعلام الغربي والمنع من جهة والإعلام الإسلامي من جهة أخرى تطراً على الساحة إشكالية شديدة التعقيد، وهي إشكالية الدراما، والتي تجتذب قطاعاً عريضاً من المشاهدين، وتأثير هذه الدراما، وما تحويه من هدم للقيم، ملموس في صفوف المجتمع، والتعقيد في هذه الإشكالية يتطلب حسمه من خلال الضبط الشرعي للمسألة، ومدى إمكانية إنتاج دراما إسلامية متميزة على غرار فيلم عمر المختار، ولكن هذه المسألة المعقدة تحتاج إلى ضبطها شرعاً من قبل علماء الشريعة الثقات.

١٨- تبين من الدراسة تميز الإعلام الإسلامي في قطاع الأطفال، وسحبه للبساط بصورة لافتة من الإعلام الغربي والتغربي في هذا الميدان، لذا فإن تركيز اهتمام الإعلام الإسلامي في قطاع الأطفال، واستحداث شركات متعددة تخضع للإشراف الشرعي والتربوي من قبل علماء الأمة الثقات، سيسمح بإذن

معلومات إضافية

نماذج لسلبيات أفلام الكرتون وخطورتها على الأطفال:

خطورة أفلام الرسوم المتحركة وسلبياتها على الأطفال كثيرة، ويمكن أن نذكر أهمها:

١- تقليد الطفل لما يراه أمامه: صورة وفكرة وصوتاً، وكثير من المسلسلات يشتمل على أفكار خطيرة سلبية لا تلائم بيئتنا العربية، مثل مسلسل (توم سوير) الذي يقوي في ذهن الطفل بعض القيم والأفكار الخطأ، ولعل أخطرهما أن (هاك) البطل الثاني يقوي في نفس البطل الأول (توم) كره المدرسة، ويحبب إليه فكرة الهروب منها، ولذلك يبتدع بعض المواقف السيئة مع المدرسين فيها والقائمين عليها، والأخطر من ذلك أنه يحرض على الهروب من المنزل، واللجوء إلى الغابة على الطريقة الأمريكية التي تحرض على فك الروابط بين الأسرة، وإعلاء مفهوم (الاستقلالية).

- وقد تشتمل بعض الأعمال الكرتونية على أفكار من نوع آخر، فبعضها يدور حول الفضاء، والقتال الدائر فيه، والخيال العلمي، وحب الطبيعة.. وبعضها الآخر يعرض للأطفال قصصاً اجتماعية فيها حب وغرام وإثارة للغرائز في سن مبكرة، كما هي الحال في مسلسل (توم وجيري)؛ حيث نرى القطة على أعلى مستوى من الأناقة، تنزّين برموش طويلة، وعيون جذابة جميلة، وكعب عالٍ، تتمايل لتخطف قلب القط.. ثم يركز بعد ذلك على مجموعة من القطط الذكور يقتتلون من أجلها.. كل هذا والأطفال يشاهدون ويتعلمون ويتمثلون.

- وقد نرى في هذه الأفلام قصة بطل نشأ صغيراً، ثم تغلب على ما يواجهه من مصاعب الحياة ومؤامرات الأعداء.. وأعطى من القوى الخارقة ما يجعل الطفل المشاهد يحلم بمثلها، ولا يخفى ما في هذا من آثار سيئة في نفسية الطفل، ومن أهمها: العيش في أحلام اليقظة، والاتكالية التي يحاربها التربويون.

٢- على الصعيد الاجتماعي تكرر هذه الأفلام في الطفل الغلظة في المشاعر، والبلادة في الأحاسيس، وهذا ينعكس على الأسرة كلها سلبياً، فالأم إذا طلبت من ابنها أمراً وهو يشاهد أفلامه المفضلة؛ تعلم أنه سيتلک كثيراً في إجابتها إلى طلبها، وكذلك الحال مع الأب أو الإخوة الكبار.

والمشكلة أن هذه الأفلام صارت تربي الطفل على هواها، وقد تسلمت زمام التربية حتى صار دور الوالدين ثانوياً، وبعضها يغالط في التربية فيصور الكذب والخدع والمراوغة ذكاء ومهارة وخفة، ومثال ذلك الفأر الفضائي (سوسان) الذي يتغلب على القط الشرير (ميغالو) عن طريق الخدع والكذب.

وفي مسلسل (مدينة النخيل) يضرب الابن والده، ثم بهجر المنزل لينام عند صديقه أو صديقه (على الطريقة الأمريكية)، ثم يعرض ذلك على أنه سلوك اجتماعي مقبول.. والأشد من ذلك أن الوالد يسترضي ابنه في نهاية الحلقة، ويقدم له ما يريد، ويرضخ لمطالبه!!

٣- ومن آثارها الاجتماعية السلبية أنها تولد الإهمال واللامبالاة عند الأطفال، مثال ذلك (علاء الدين) في الفيلم الذي أنتجته شركة ديزني، وفيه يصور علاء الدين ابناً لخياط فقير تطلب منه أمه أن يساعدها فيرفض، ويفضل اللعب مع أصدقائه في ساحة الحي، وحين يموت والده لا يبالي بالأمر، فيأتي الساحر ويحتال عليه، ويدعي أنه عمه ويأخذه إلى الكهف ليحضر له المصباح السحري.. وبعد أن يدخل يفاجئه بريق اللآلئ والجواهر فيركع أمامها، ثم يتجه نحوها ليملاً جيوبه، لقد تحول عن مهمته بعد أن بهره منظر الحلبي والذهب، وكأنه قد

خضع إلى سلطة المال الذي أخذ عقله، وملك عليه حواسه.

بعد ذلك يطلب علاء الدين من ماردمصباح أن يطعمه، ويزوجه، ويحضر له المال.. وهذا مما يكس العجز والاتكالية عند الطفل حتى تصيبه أحلام اليقظة، فيتخيل أن ماردمصباح سيكتب له واجباته، وسيحفظ عنه دروسه، ويقدم إليه الإجابة في الامتحان.

٤- ومن آثارها الاجتماعية السلبية أنها تجعل الطفل عدوانياً مهياً لمعالجة أمور حياته بعنف وعداء، كما تجعله منحرفاً عن السلوك الإنساني السوي يقول الطبيب ستيفن بانا: «إذا كان السجن هو جامعة الجريمة؛ فإن التلغاز هو المدرسة الإعدادية لانحراف الأحداث...».

وتأتي العدوانية بسبب المعارك والأسلحة المتطورة التي تُستخدم فيها الأفتعة المخيفة.. مما يشيع جواً من القتل والدماء والصدام والحرائق والموت الذي يخيف الأطفال، ويروّعهم، ويخلق في أنفسهم عدوانية ورغبة في ممارسة العنف.

٥- ومن آثارها السلبية أنها في كثير من الأحيان تثير في النفس الغرائز البهيمية في وقت مبكر.. وفي إحصاء عن الأفلام التي تُعرض على الأطفال عالمياً، وُجد أن:

- ٦, ٢٩٪ منها يتناول موضوعات جنسية بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

- ٤, ٢٧٪ منها يعالج الجريمة والعنف والمعارك والقتال الضاري.

- ١٥, ٠٠٪ منها يدور حول الحب بمعناه الشهواني العصري المكشوف، ومثال ذلك فيلم (علاء الدين) وفيلم (حورية البحر)؛ حيث تعرض البطلة فيهما شبه عارية تقوم بحركات مختلفة فيها الغنج والدلال والرقص والإثارة الجنسية.

٦- ومن آثارها السلبية أنها تحارب في نفس الطفل الفطرة السليمة؛ إذ تقوم على قطبي الدراما: (الخير والشر)، ومن الأفضل تربوياً أن تكون شخصيات الخير جميلة محببة، وأن تكون شخصيات الشر قبيحة مكروهة؛ لأن الطفل يربط بين الخير والجمال، وبين الشر والقبح، ولكن بطل الخير في كثير من أفلام الرسوم المتحركة مقنع من مثل (سر المقنع - النمر المقنع- الضرية المزدوجة - غريندايزر..). أما بطل الشر فجميل في أفلام ومسلسلات أخرى، وهو قوي صارم ذكي.. وهذا اعتداء على الفطرة السليمة عند الأطفال.

٧- ومن آثارها السلبية أن بعضها يؤثر في مشاعر الأطفال نحو دينهم، ويوجه الطفل إلى التسليم ببعض الأفكار المغلوطة، ففي مقدمة فيلم (علاء الدين) يبدأ الساحر (في النسخة الأجنبية) بالغناء، ويقول: «أنت من أرض بعيدة (الصحراء العربية) التي يقطعون فيها أذنيك إذا لم يعجبهم وجهك، إنه مجتمع وحشي، ..»

وفي الفيلم ذاته يعرض الخليفة العربي بصورة تدعو إلى الضحك، فهو مشغول بجمع الجواهر النفيسة، ومستعد لبيع ابنته وتزويجها برجل شرير مقابل خاتم نادر، ثم هو مشغول بجواريه وطعامه.. وقد رُسم بصورة رجل لا يستطيع القيام إذا جلس؛ لأن بطنه ضخمة إلى درجة تمنعه من القيام.. وهذا كله طعن بتاريخنا العربي، وتسفيه لشخصية الخليفة العربي المسلم في أذهان الأطفال.

وفي الفيلم ذاته يهرب علاء الدين من الشرطة، وفي بضع ثوان، وبطريقة جذابة مثيرة يدخل إلى كثير من

البيوت من خلال النوافذ، ويصطدم بنساء عربيات، وهن يجتهدن في تزيين أنفسهن، ويتسابقن لتقبيل هذا الهارب، ثم يقعن في الخيبة والإخفاق، ثم يتشاجرن بعضهن مع بعض؛ لأن إحداهن لم تحظ بهذا الهارب.. وهذا فيه ما فيه من توجيه الطعنات إلى الأسرة العربية المسلمة المحافظة.

وفي مسلسل أبطال الليزر كانت مساعدة زعيم الأشرار (ليالي) امرأة تستغل جمالها وجاذبيتها وإغراءها في سبيل الشر، وفي إحدى الحلقات يأتي «تاجر أسلحة إرهابي عربي خليجي» ليعقد مع مدير الشركة صفقة، ويجد في استقباله إضافة للمدير السيدة (ليالي) يمدُّ المدير يده ليصافحه فيعرض عنه العربي، ويتحول إلى المرأة، ويقبل يدها مع إحياءات غرائزية، ويقول: أنا سعيد جداً لأنني قبلت يدك سيده (ليالي)، ثم يتوجه بالخطاب إلى مدير الشركة، ويقول: دكتور غضبان أنا عربي، ولا أقبل إلا يد فتاة جميلة مثيرة، أما أنت فقبيح جداً!!

٨- ومن آثارها الفكرية السلبية أن بعضها يمجد اليهود، ويثير الشفقة عليهم، ففي مسلسل (كريستوفر كولومبوس) في النسخة الأصلية يصوّر للأطفال أن الذين عُذبوا في محاكم التفتيش هم اليهود، ويصوّر العرب عملاء للإسبان يتآمرون معهم ضد اليهود.. وهذا تشويه مقصود لحقائق التاريخ.

٩- ومن آثارها السلبية إدمان الأطفال عليها حتى إنهم لا يقدرّون على العيش بدونها.

المصادر:

عماد الدين الرشيد، أثر أفلام الكارتون في تربية الطفل، دار "نحو القمة" للطباعة والنشر، سوريا، الطبعة الأولى،..

٢٠٠٧م

د. أحمد نتوف، الغزو الفكري في أفلام الكارتون، دار "نحو القمة" للطباعة والنشر، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.